مقدمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف: ١]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي الذي أُنزل عليه القرآن بلسان عربي مبين، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا لكتاب الله حافظين وفي نقله أمناء صادقين.

وبعد:

فإن القرآن الكريم منذ أن نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثار دهشة وإعجاب، فقد بهر الناس بروعة بيانه، وإعجاز نظمه، وفصاحة كلماته، وبلاغة أسلوبه، ودقة تعبيره، مما جعلهم ينكبون عليه حفظًا وتفسيرًا وإعرابًا وإظهارًا لوجوه إعجازه، وإذا كانت وجوه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة لا يستطيع أحد أن يحصرها فإن قراءاته المتعددة التي تناقلت إلينا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين من بعده لهي من الدلائل الواضحة على إعجازه.

ومهما حظيت القراءات القرآنية من اهتمام كبير عند الباحثين على امتداد العصور الإسلامية فإنها ما زالت بحاجة إلى مزيد من كشف أسرارها وخاصة ما حظي منها باهتمام أقل كقراءة ابن عامر، فإنها لم تحظ بجمع مستقل من بين القراءات، كما أنها لم تجد عناية من أحد بدراستها من الناحية اللغوية دراسة مستقلة مستفيضة، إلا ما وجد منها متناثرًا في كتب القراءات والاحتجاج لها، أو في كتب النحو وإعراب القرآن، أو في كتب التفسير، بل لا أكاد أجد اليوم قارئًا يقرأ بقراءة ابن عامر كما هو الشأن في قراءة حفص عن عاصم، وورش عن نافع، وحمزة وغيرهم، اللهم إلا في مقام التعليم للقراءات السبع أو العشر بوجه عام، وهذا ما دفعني إلى أن أختار قراءة ابن عامر صوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا موضوعًا لهذا البحث

الذي أتقدم به إلى قسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم جامعة القاهرة لنيل درجة الماجستير.

وعدم العناية بقراءة ابن عامر لا يتمثل في إهمالها جمعًا وقراءة فقط، بل يتمثل في وصف بعضهم لها بالغرابة، فقد روى ابن الجزري عن أبي العباس الطنافس قوله: «من أراد أحسن القراءات فعليه بقراءة أبي عمرو، ومن أراد الأصل فعليه بقراءة ابن كثير، ومن أراد أفصح القراءة فعليه بقراءة عاصم، ومن أراد أغرب القراءات فعليه بقراءة ابن عامر، ومن أراد الأثر فعليه بقراءة حمزة، ومن أراد أظرف القراءات فعليه بقراءة الكسائي، ومن أراد السنة فعليه بقراءة نافع»[١]. فهو يصف قراءة ابن عامر بأنها غريبة. وقد عقب الأستاذ الدكتور لبيب السعيد على هذا بقوله: «وعندنا أن هذا خطأ غليظ ما كان يحق للطنافس بحال أن يذهب إليه، فالقراءات لا بد توقيفية وليست اختيارية، وإلا وجد الشك والوهم سبيلهما إلى آي الكتاب»[٢].

على أن قراءة ابن عامر لم تعدم من يوليها اهتمامه، ومن الواجب أن أشير هنا إلى مخطوط عثرت عليه في دار الكتب المصرية وعنوانه: «روضة الشاكر في قراءة ابن عامر» تأليف: محمد بن مصطفى الحسيني الشهاوي الدسوقي الأزهري النقشبندي المتوفى (١١٦٧هـ).

وهذا المخطوط موجود بدار الكتب[٣]، وهو أرجوزة نظم فيها صاحبها قراءة ابن عامر التي خالف فيها حفصًا. أما ما وافق ابن عامر فيه حفصًا فلم يتعرض له المؤلف. وقد وفقني الله تعالى إلى تحقيق هذه الأرجوزة وشرحها، وحل غامضها، حتى يتسنى لمريدي القراءات الاستفادة منها، وقد عنيت مكتبة الثقافة الدينية بنشر هذا التحقيق.

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٧٥).

(٢) الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم (١٤٨).

(٣) رقم فز قراءات ٢٨٠.

وسوف تنصب هذه الدراسة على ما تثيره قراءة ابن عامر من قضايا لغوية على المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي.

وللجانب الصوتي في القراءات أهمية خاصة لارتباطه أولًا بالخصائص الصوتية القبلية، ولاتصاله ثانيًا بتحليل المراحل التاريخية لأصوات العربية؛ إذ إن هذه القراءات تقدم أصلًا دقيقًا لصور النطق بهذه الأصوات في مرحلة النبوة، وذلك أساس جيد لأي دراسة تاريخية صوتية حيث يظهر الأداء الدقيق في تلاوة القرآن وكيفية النطق بأصوات العربية في تلك المرحلة التاريخية.

وتتأكد أهيمة الدراسات اللغوية بالدخول في المستوى الصرفي حيث تتنوع أبنية الكلمة، وتتعدد تصاريفها، ثم بالدخول في المستوى النحوي حيث يزداد الخلاف بين القراء حول تركيب الجملة، ويحتدم الخلاف بين النحويين حول وجوه الإعراب المختلفة، وهنا نلمح التفرد الذي تتسم به قراءة ابن عامر من بين القراءات مما سوف تبرزه الدراسة إن شاء الله.

ولن أدرس قراءة ابن عامر في ضوء رواية حفص كما سلك الشيخ محمد الشهاوي في أرجوزته، كما أنني لا أقتصر على ما انفرد به، ولكن سوف أتتبع قراءته بمعزل عن هذين الاعتبارين.

وليس هذا البحث احتجاجًا لقراءة ابن عامر أو دفاعًا عنها، فلست ممن ينصرون فكرة الاحتجاج للقراءات اقتناعًا مني بأن القراءات يحتج بها ولا يحتج لها، كما أن هذا البحث ليس بجديد في حقل الدراسات القرآنية، فقد سبقني الكثيرون من القدامى والمحدثين إلى مثل هذا النوع من الدراسة، فمنذ أن سبع ابن مجاهد (ت ٣٢٤) السبعة في الربع الأول من القرن الرابع الهجري وجمعهم في كتابه: «السبعة في القراءات» أخذ العلماء يتجهون إلى الاحتجاج للقراءات وتخصيص كتب في ذلك، وقد كان الاحتجاج من قبل متناثرًا في كتب التفسير وفي كتب إعراب القرآن وفي

كتب النحو، ولعل أول ما يطالعنا من كتب الاحتجاج: «الحجة في علل القراءات» لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) إلا أن أبا علي أطال في مسائله إطالة مملة جعلته يستغلق على الفهم، ثم توالت بعد ذلك في هذا المجال كتب أكثر إيضاحًا وتنقيحًا ومن ذلك: «الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، و«حجة القراءات» لأبي زرعة (المتوفى حوالي ٤٠٣هـ)، فضلًا عن الكتب التي تخصصت في إعراب القرآن كإعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج (ت ٣١١هـ)، وإعراب القرآن للنحاس (ت ٣٢٨هـ)، والتبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (ت ٥٣٨هـ) وهو المسمى: بإملاء ما منَّ به الرحمن، والبيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، كما وضعت كتب تناولت القراءات أيضًا تحت اسم: معاني القرآني؛ كمعاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧هـ)، ومعاني القرآن للزجاج (٣١١هـ)، ومعاني القرآن للأخفش (ت ٢٢١هـ). هذا بالإضافة إلى كتب التفسير التي نحت منحى لغويًا في تفسيرها للقرآن ومن ذلك: تفسير الطبري (ت ٣١٠هـ)، وتفسير الكشاف للزمخشري (ت ٦٨٣هـ) وتفسير القرطبي، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (ت ٧٤٥هـ)، وتفسير الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) وغيرهم.

أما عن المحدثين فتطالعنا بحوث كثيرة، ومن ذلك القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين، والأصوات في قراءة أبي عمرو، رسالة ماجستير إعداد الدكتور عبد الصبور شاهين، وقراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية إعداد الدكتور عبد الهادي الفضلي رسالة دكتوراه، وقراءة الكسائي القرآنية إعداد الدكتور محمود أبو سمرة رسالة دكتوراه، وغير ذلك كثير.

فهذه الكتب كلها تناولت القراءات وتوجيهها -وإن اختلفت مناهجها- فمنها ما يتناول القرآن كله تفسيرًا وإعرابًا مراعيًا وجوه القراءات، ومنها ما يتناول إعراب ما أشكل إعرابه من القرآن على وجوه القراءات أيضًا، ومنها ما يتناول القراءات بصفة خاصة بقصد الاحتجاج لها بشواهد النحو واللغة، ومنها ما هو بحوث

متخصصة في قراءة معينة أو في جانب معين من الدراسات اللغوية في ضوء القراءات على هيئة كتب أو رسائل جامعية. وعلى الرغم من ذلك كله فقد ظلت قراءة ابن عامر في حاجة إلى من يأخذ بيدها لتتبوأ مكانًا مستقلًا في المكتبة العربية بين غيرها من الدراسات.

ولا أزعم أنني أتيت بجديد لم يتطرق إليه النحويون من قبل فليس هذا مبتغى الباحث دائمًا.

وإن كانت هنا جدة أزعمها وهي تتمثل في جمع القراءة من المصادر والمراجع بعد أن كانت أشتاتًا لا يستطيع القارئ أن يتلمس من خلالها شخصية ابن عامر، كذلك يتضح دوري في تصنيف قراءة ابن عامر تصنيفًا لغويًّا؛ أي تبرز فيه جوانب اللغة من أصوات وأبنية وتراكيب، فضممت كل نظير إلى نظيره من هذه الظواهر كاشفًا عما بينها من علاقات بالرجوع إلى ما يعينني من المصادر والمراجع للقدامى والمحدثين، ومن خلال ذلك كله أجتهد رأيي ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

وقد تحاشيت التعصب المذهبي في معالجة المسائل اللغوية، فقد استخلصت ما أثارته قراءة ابن عامر من قضايا صوتية وصرفية ونحوية غير متأثر بما قرره البصريون أو الكوفيون، وغير معتد بطعن بعضهم فيما يخالف قواعدهم من هذه القضايا، فلم أجرِ وراء رأي مشهور على حساب ما يثبت في قراءة ابن عامر؛ إذ هي قراءة سبعية متواترة، وهذا ما جعلني لا أحفل كثيرًا بالاستشهاد من كلام العرب من شعر أو نثر إلا في مقام التصدي للمنكرين أو التوضيح.

أما المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها فلم أعن بكثرتها عددًا قدر ما عنيت بأكثرها فائدة –وإن كان ذلك لا يعفيني من بعض التقصير في الرجوع إلى أكثر مما رجعت إليه– ولكنني توخيت قدر الإمكان أصفاها أسلوبًا، وأوضحها عبارة، وأقربها إلى الفهم، وأشدها لصوقًا بالموضوع. فقد استعنت بكتب الطبقات

والتراجم والقراءات في إلقاء الضوء على حياة ابن عامر وشيوخه وتلاميذه ورواته وطرقه، ومن ذلك: «معرفة القراء» للذهبي (ت ٧٤٨هـ)، و«غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ت٩١١هـ)، و«لطائف الإشارات لفنون القراءات» لأبي شهاب القسطلاني.

كما استعنت بكتب علوم القرآن والتأريخ له ومقدمات كتب التفسير في تتبع علم القراءات من حيث نشأته وتطوره، ومن ذلك: «تفسير الطبري» (ت ٣١٠هـ)، و«تفسير النيسابوري» (ت ٤٠٦هـ)، و«الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (ت ٩١١هـ)، و«مناهل العرفان في علوم القرآن» للزرقاني (ت ١٣٦٧هـ)، و«تأريخ القرآن» للأستاذ إبراهيم الإبياري.

كما استعنت في جمع القراءة بكتب القراءات المتخصصة، ومن ذلك: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، و«التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، و«شرح ابن القاصح على الشاطبية» (ت ٨٠١ هـ) وهو المسمى بـ«سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي»، و«غيث النفع في القراءات السبع» للصافقسي (ت ١١١٨هـ)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).

كما استعنت في تحليل الظواهر الصوتية بكتب الأصوات والقراءات والاحتجاج لها، ومن ذلك: «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، و«الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه، و«البيان في غريب إعراب القرآن» لابن الأنباري، و«النشر في القراءات العشر»، و«القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث» للدكتور عبد الصبور شاهين، و«الأصوات اللغوية» للدكتور إبراهيم أنيس، و«علم اللغة العام» (الأصوات) للدكتور كمال بشر.

كما استعنت في تحليل الظواهر الصرفية بكتب الصرف واللغة وكتب الاحتجاج للقراءات، ومن ذلك: «الحجة في علل القراءات» لأبي علي الفارسي، و«الحجة» لابن خالويه، و«الكشف» لمكي، و«حجة القراءات» لأبي زرعة، و«الكتاب» لسيبويه، و«لسان العرب»، و«شرح التصريف» لابن جنى، بالإضافة إلى كتب المحدثين.

كما استعنت في تحليل الظواهر النحوية بكتب النحو في القديم والحديث وكتب الاحتجاج للقراءات، ومن ذلك: «الكتاب» لسيبويه، و«الخصائص» لابن جنى، وبعض شروح ألفية ابن مالك: كشرح الأشموني، وحاشية الصبان عليه، وأوضح المسالك، والمغني وهما لابن هشام، بالإضافة إلى كتب إعراب القرآن: كإعراب القرآن للنحاس، وإعراب القرآن المنسوب للزجاج، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري، وكتب التفسير: كتفسير القرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان، بالإضافة إلى كتب المحدثين.

أما العناء الذي وجدته في تعاملي مع هذه المصادر والمراجع ونحوها فلا يعلمه إلا الله تعالى، فقد كنت أجلس إلى الكتاب أقلب صفحاته ومعي رفيق بعينيه أقرأ وبيده أكتب أقضي في ذلك ساعات وساعات من أجل تحقيق قراءة، أو العثور على إعراب كلمة أو جملة، ولقد لاقى هذا البحث في طريقه كثيرًا من العثرات والعقبات فما كدت أجمع مادته حتى سافر المشرف عليه، وتركه يتحسس الطريق وحده، ولكنني تغلبت على ذلك بفضل الله تعالى وحده وتوفيقه، ثم بفضل أستاذي الدكتور علي أبو المكارم جزاه الله عني خير الجزاء.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى تمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة.

أما التمهيد: فقد تناولت فيه علم القراءات من حيث نشأته وتطوره، وألقيت الضوء على حياة ابن عامر وشيوخه وتلاميذه ورواييه وطرقه، كما بينت الفرق بين القراءة الصحيحة وغيرها، كما وثقت قراءة ابن عامر من حيث إسنادها ومطابقتها

للرسم العثماني وموافقتها للعربية.

وأما الباب الأول: فقد تناولت فيه الظواهر الصوتية في قراءة ابن عامر، وقد درستها في فصلين: درست في الفصل الأول ما يتعلق من هذه الظواهر بالصوائب؛ أي الحركات كحركة الفتح والإمالة وحركة هاء الكتابة والمد، والقصر، ودرست في الفصل الثاني ما يتعلق بالصوامت وهنا درست أحوال الهمزة، والإظهار والإدغام.

وأما الباب الثاني: فقد تناولت فيه الظواهر الصرفية، وقد جاء في فصلين أيضًا: الأول: حول الأفعال من حيث تجردها وزيادتها، وأوزانها، والقلب المكاني فيها وأنواعها. والثاني: حول الأسماء من حيث تجردها وزيادتها ومصادرها ومشتقاتها وجموعها.

وأما الباب الثالث: فقد تناولت فيه الظواهر النحوية، وقد قسمته إلى أربعة فصول: درست في الفصل الأول ما يتعلق بالمقدمات النحوية؛ كالإعراب وعلاماته، والمعارف، ودرست في الفصل الثاني الجملة الاسمية وما يختص بها من نواسخ، وفي الفصل الثالث درست الجملة الفعلية وما يتعلق بها من مرفوعات ومنصوبات، وفي الفصل الرابع درست المركبات النحوية وهنا تعرضت للإضافة وقضاياها: كإضافة الموصوف إلى الصفة، والفصل بين المتضايفين، ثم تعرضت للتوابع.

أما الخاتمة: فقد أوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وبعد؛ فهذا جهد متواضع أبتغي به وجه الله تعالى، حاولت مخلصًا أن أخرجه على هذه الصورة دون أن أدخر جهدًا أقل جهد وإن بدا فيه قصور من بعض الوجوه، فما هذا إلا لعجزي عن بلوغ الكمال، ولكن كل ما طمعت فيه هو أن ينفعني الله تعالى به، وأن ينفع به كل من قصده ملتمسًا منه نفعًا.

اللهم إن هذا اجتهادي، فإن كنت مخطئًا فلا تحرمني أجره، وإن كنت مصيبًا

فأعطني أجري مرتين.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾، اللهم علمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني، وزدني علمًا.

obeikandl.com

تمهيد

يبدأ عصر ابن عامر من العام الثامن الهجري، حيث كان مولده؛ أي قبل انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى بعامين، إلى قريب من نهاية العصر الأموي، وهذه الفترة غنية بالدراسات التاريخية والأدبية لما انطوت عليه من أحداث سياسية وتغيرات اجتماعية واقتصادية، وتقلبات فكرية، ومن ثم فإن الكتب والأبحاث التي وضعت في ذلك لا تُحصى عددًا، ولذلك فإن الأجدر أن أدخل إلى الحديث عن ابن عامر وقراءاته مباشرة وما يتعلق بهما من قضايا.

obeikandl.com

القراءات: نشأتها وتطورها

قبل أن أدخل إلى قراءة ابن عامر لتصنيفها وتحليلها وفق مستويات البحث اللغوي، يجدر بي أن أذكر كلمة موجزة عن نشأة علم القراءات وتطوره من عهد النبوة حتى عهد ابن عامر.

ولقد تناول الكثيرون هذا الموضوع، فما من كتاب أو بحث في القديم أو الحديث حول القرآن الكريم في شتى زواياه الدينية واللغوية، إلا تحدث عن تاريخ القرآن من حيث نزوله وجمعه وقراءاته، ومن ثم فلا داعي إلى توسيع الحديث عن نشأة القراءات إلا بالقدر الذي يعين القارئ على الإلمام بجوانب هذا البحث، ولذلك فإني أتناول هذا الموضوع تناولًا سريعًا، وقد أوردت كتب القراءات تعريفات كثيرة لعلم القراءات، لا يتسع المقام لذكرها كلها، وأقتصر هنا على ما ذكره الدمياطي البنا لأنه أقربها إلى الفهم، قال: «هو العلم الذي يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع»[(١)].

وبالنظر إلى التدرج التاريخي لعلم القراءات، فإن نشأة هذا العلم ترجع إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد مر بالمراحل التالية:

(أ) اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن ينزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم منجمًا في ثلاث وعشرين سنة حتى تتهيأ النفوس البشرية لتلقي هذا الفيض الإلهي[(٢)]. فكان الصحابة يكتبون ما ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر منه،

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي البنا ص٥.
(٢) تاريخ الأدب العربي، د/ شوقي ضيف (٢/ ٢٥).

ولم يكونوا يكتبونه فحسب، بل كانوا يحفظونه ويعونه كما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم[١]. ويرجع الاختلاف في قراءة القرآن إلى هذا العهد حيث كان الصحابة يختلفون في قراءة الحرف الواحد من القرآن، ومن ذلك ما رواه البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ، لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ»** فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ»**، ثُمَّ قَالَ: **«اقْرَأْ يَا عُمَرُ»** فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»**[٢].

ويتضح من هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقر الصحابة على اختلافهم في القراءة ما دامت مطابقة لما أُنزل عليه، كما يتضح أن القرآن لم ينزل بلهجة واحدة، بل نزل بسبع لغات على أصح التفسيرات، لقوله صلى الله عليه وسلم: **«سبعة أحرف»**[٣]، لأن القرآن يمثل أعلى ما ينتظمه اللسان العربي من لغات، وأحوى ما يجمع من لهجات، وكانت لغة مضر أعلى ما يجرى على لسان قريش وأحواه، فنزل بها القرآن، وفي هذا يقول عمر: ينزل القرآن بلغة مضر. وكانت لغة

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (١/ ٣٦٧).
(٢) صحيح البخاري (٦/ ٢٢٧، ٢٢٨).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٩، ٢٥)، والقراءات واللهجات للدكتور عبد الوهاب حمودة، ص٦.

مضر هذه تنتظم لغات سبعًا لقبائل سبع، هم: (هذيل، وكنانة، وقيس، وضبة، وتيم الرباب، وأسد بن خزيمة، وقريش) .. وهو أولى الأقوال بتفسير الحديث: «**نزل القرآن على سبعة أحرف**»[١].

وقبل أن ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، عارض ما أنزله عليه ربه بسوره وآياته على ما حفظه عنه حفظة المسلمين، وكان ما في صدور الحفظة صورة مما كان في صدر الرسول صلى الله عليه وسلم[٢].

وتذكر كتب الطبقات أن الذين اشتهروا بحفظ القرآن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم سبعة هم: أُبي بن كعب المتوفى (٢٠هـ)، وأبو الدرداء المتوفى (٣٢ هـ)، وعبد الله بن مسعود المتوفى (٣٢هـ)، وعثمان بن عفان المتوفى (٣٥هـ)، وعلي بن أبي طالب المتوفى (٤٠هـ)، وأبو موسي الأشعري المتوفى (٤٤هـ)، وزيد بن ثابت المتوفى (٤٥هـ). ومن هنا يقول بعضهم: إن هؤلاء السبعة دارت عليهم أسانيد قراءة الأئمة العشرة[٣].

(ب) وفي عهد الخلفاء الراشدين جُمع القرآن الكريم مرتين: الأولى: في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. فبعد أن تولى الخلافة «خرج القراء من الصحابة إلى الغزوات، فاستشهد كثير منهم يوم اليمامة، فأرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت وأمره بجمع القرآن بحثٍ من عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى لا يضيع القرآن بمقتل حُفاظه»[٤].

قال زيد: فتتبعت القرآن، أجمعه من الرقاع والسَّعَف واللخاف (الحجارة)

---

(١) تأريخ القرآن لإبراهيم الأبياري، ص٨٤.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) الإتقان للسيوطي (١/ ٢٥١)، مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٤١٤)، قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية (رسالة دكتوراه ص٥٠ للدكتور عبد الهادي الفضلي).

(٤) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب ص٥٧، ٥٨، ومناهل العرفان للزرقاني (١/ ٢٤٩).

وصدور الرجال. فجمع القرآن في صحف، وظلت هذه الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر حتى أخذها منها عثمان رضي الله عنه[١].

أما المرة الثانية لجمع القرآن فكانت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. ولست بحاجة إلى توسيع الحديث في هذا الموضوع لأن الكتب المؤلفة في هذا الموضوع تغني عن تفصيل ذلك[٢]، ولكن الأمر الذي يستوقفنا من ذلك كله هو ما حدث سنة ثلاثين للهجرة، ففي هذه السنة هال حذيفة بن اليمان (المتوفى عام ستة وثلاثين للهجرة، فاتح نهاوند) ما رأى من تناحر أهل الشام وأهل العراق من جنده في أثناء غزواته في أذربيجان وأرمينية لخلافات كان يلاحظها كل فريق لدى قراءة الفريق الآخر لآي الذكر الحكيم، فما كان منه إلا أن هرع إلى عثمان رضي الله عنه مُصوِّرًا له خطورة الأمر[٣]. وتكاد الكتب المؤلفة في علوم القرآن تجمع على أن تلك الخلافات بين المسلمين في قراءة الذكر الحكيم مردها إلى اختلاف نسخ المصاحف التي كان يقرأ بها أهل الأمصار، كمصحف أُبي بن كعب الذي كان يقرأ به أهل دمشق، ومصحف المقداد بن عمرو الذي كان يقرأ به أهل حمص، ومصحف عبد الله بن مسعود الذي كان يقرأ به أهل الكوفة، ومصحف أبي موسى الأشعري الذي كان يقرأ به أهل البصرة[٤].

وكما استجاب أبو بكر لعمر، استجاب عثمان لحذيفة، فأرسل عثمان يطلب الصحف من عند حفصة بنت عمرو زوج النبي صلى الله عليه وسلم: «أن أرسلي إليَّ بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك». فأرسلت إلى عثمان، فأرسل عثمان

(١) الإبانة عن معاني القراءات لمكي ص٦٠، ٦١، تأريخ القرآن لإبراهيم الإبياري ص٨٤.
(٢) الإبانة لمكي ص ٦٢-٦٦، مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٢٥٥-٢٦٣)، الجمع الصوتي الأول للقرآن للدكتور لبيب السعيد، ص٤٤-٥٤.
(٣) أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، للدكتور عفيف دمشقية، ص٩.
(٤) أثر القراءات القرآنية، ص١٠.

إلى زيد بن ثابت وإلى عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فأمرهم أن ينسخوا الصحف في المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة: «ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش، فإنه نزل بلسانهم». ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان في كل أفق بمصحف من تلك المصاحف، وأمر بما سوى ذلك من القرآن أن يحرق[١].

«وأرسل عثمان ستة من هذه المصاحف إلى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة، وحبس مصحفًا بالمدينة»[٢]. ولم يترك عثمان الذين بعث إليهم بالمصاحف يقرءونها من تلقاء أنفسهم، بل عيَّن «مقرئًا خاصًّا» لكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف بعد توحيد المصاحف، وذلك ليقرئ الناس بما في مصحفهم، وكان من الذين بعثهم المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (تُوفي سنة نيف وسبعين للهجرة بالشام)[٣].

(ج) ثم تكونت بعد ذلك طبقة من القراء في هذه الأمصار يعدون أساتذة للأئمة الذين تجردوا للقراءة ونُسبت إليهم، وهذه الطبقة منهم في المدينة «سعيد بن المسيب (المتوفى عام أربعة وتسعين للهجرة)، ومعاذ بن الحارث (المتوفى سنة ثلاث وستين للهجرة)، وفي مكة عبيد بن عمير الليثي (المتوفى عام أربعة وسبعين للهجرة)، وطاوس بن كيسان (المتوفى عام مائة وستة للهجرة)، وعكرمة بن خالد بن العاص (المتوفى عام مائة وخمسة عشر للهجرة)، وفي الكوفة سعيد بن جبير (المتوفى عام خمسة وتسعين للهجرة)، وعبد الله بن حبيب السُّلَمي (المتوفى عام أربعة وسبعين للهجرة) وفي البصرة نصر بن عاصم (المتوفى عام تسعة وثمانين للهجرة)،

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، (١/ ٢٤) بهامش الطبري.

(٢) لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني (١/ ٦٣، ٦٤)، تأريخ القرآن لإبراهيم الإبياري، ص٩٠.

(٣) قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية للدكتور عبد الهادي الفضلي ص٥٤.

ويحيى بن يعمر (المتوفى عام مائة وتسعة وعشرين للهجرة)، والحسن البصري (المتوفى عام مائة وعشرة للهجرة)، وفي الشام المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان في القراءة»[١].

(د) ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا أئمة يُقتدى بهم، ويُرحل إليهم، ويُؤخذ عنهم، وقد أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، ولم يختلف عليهم اثنان، ولتصديهم للقراءة نُسبت إليهم[٢].

(هـ) وقد تعدد القراء تعددًا كبيرًا حتى ذكر بعضهم عشرين قارئًا، وذكر بعضهم اثنين وعشرين، قال مكي: «وكان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة أبي عمرو ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وبالشام على قراءة ابن عامر، وبمكة على قراءة ابن كثير، وبالمدينة على قراءة نافع، واستمروا على ذلك، فلما كان على رأس الثلاثمائة أثبت ابن مجاهد اسم الكسائي، وحذف يعقوب. قال: والسبب في الاقتصار على السبعة مع أن في أئمة القراء من هو أجل منهم قدرًا: أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيرًا جدًّا فلما تقاصرت الهمم اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر في ملازمة القراءة والاتفاق على الأخذ عنه، فأفردوا من كل مصر إمامًا واحدًا، ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات، ولا القراءة به كقراءة يعقوب وعاصم الجحدري وأبي جعفر، وشيبة وغيرهم»[٣].

وفيما يلي أذكر نبذة عن كل إمام من هؤلاء الأئمة:

---

(١) أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي لعفيف الدمشقية، ص١٠.
(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ٨).
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٩/ ٢٦).

١- ابن عامر: وهو موضوع هذه الدراسة، وقد تُوفي عام ثمانية عشر ومائة للهجرة.

٢- عبد الله بن كثير بن المطلب القرشي: ويكنى أبا معبد، ولد بمكة سنة خمس وأربعين ومات سنة عشرين ومائة للهجرة. وراوياه هما: أحمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، ولُقب بالبزي، ولد سنة سبعين ومائة، وتُوفي سنة خمسين ومائتين للهجرة، ومحمد بن عبد الرحمن بن خالد المكي الملقب بقنبل، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، ومات سنة إحدى وتسعين ومائتين.

٣- عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدى: وكنيته أبو بكر، وكان أحسن الناس صوتًا، وكان من التابعين، تُوفي آخر سنة سبع وعشرين ومائة بالكوفة. وراوياه هما: شعبة بن عباس بن سالم، وكنيته أبو بكر، ولد سنة خمس وتسعين، وتُوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة، وحفص بن سليمان بن المغيرة الأسدى الكوفي، ولد سنة تسعين، وتُوفي سنة ثمانين ومائة.

٤- حمزة بن حبيب الزيات: ولد سنة ثمانين، وتُوفي سنة خمسين ومائة، وراوياه هما: خلف بن هشام البزار البغدادي، ولد سنة خمسين ومائة، ومات سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد، وخلاد بن خالد الشيباني الصيرفي الكوفي وكنيته أبو عيسى، ولد سنة تسع عشرة ومائة وتُوفي سنة عشرين ومائتين.

٥- أبو عمرو البصري المازني: ولد سنة ثمان وستين، وقرأ بالبصرة والكوفة ومكة والمدينة، وتُوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة، وراوياه هما: حفص بن عمر بن عبد العزيز، وكنيته أبو عمر، ولد سنة خمسين ومائة في الدور، وتُوفي سنة ست وأربعين ومائتين، وصالح بن زياد السوسي الملقب بالسوسي، وتُوفي سنة إحدى وستين ومائتين.

٦- **نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم**: وكنيته أبو رُوَيم، أصفهاني الأصل، كان عالمًا بوجوه القراءات والعربية، وهو إمام دار الهجرة في القراءة بعد أبي جعفر -قرأ على سبعين من التابعين- ولد سنة سبعين، وتُوفي سنة تسع وستين ومائة، وراوياه: عيسى بن مينا ويكنى أبا موسى، ولقبه قالون، ولد سنة مائة وعشرين، ومات بالمدينة سنة مائتين وعشرين، وأبو سعيد عثمان بن سعيد المصري ولقبه شيخه بورش لشدة بياضه، ولد سنة عشر ومائة ومات بها سنة سبع وتسعين ومائة للهجرة.

٧- **الكسائي**: هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، وكنيته أبو الحسن الملقب بالكسائي؛ لأنه أحرم في كساء، وتُوفي سنة تسع وثمانين ومائة، وراوياه هما: الليث بن خالد البغدادي، وكنيته أبو الحارث، تُوفي سنة أربعين ومائتين، وحفص بن عمر الدوري، وهو الذي روى أيضًا عن أبي عمرو بن العلاء[1].

وهذا هو الترتيب التاريخي للأئمة السبعة، أما في كتب القراءات فيجيء ترتيبهم على النحو التالي:

نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، ولعل هذا الترتيب بالنظر إلى رتبهم في القراءة، بحيث تقدم قراءة نافع على ابن كثير وهكذا.

(و) ولم تكن نشأة النحو العربي بمعزل عن قراءات القرآن الكريم، وذلك لأن «الرعيل الأول من البارزين لتعليم تلك الأقوام الأعجمية كان لا بد أن يصطدموا بمشكلات لغوية أجبرتهم على إحالة النظر في تراثهم اللغوي وفي كتابهم الكريم، وتسجيل ملاحظاتهم عليها، فتكون من تلك الأنظار، وهذه الملاحظات نواة علم النحو. ولقد كان أبناء هذا الرعيل وكلهم من قراء القرآن الكريم والمقرئين ورثوا طائفة من وجوه القراءات هي سابقة في الزمن -ولاشك- على الاشتغال باللغة

(١) انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي (١/ ٨٦) وما بعدها، والوافي في شرح الشاطبية، ص١٦-٢١.

والنحو»[١].

وتروي كتب التراث أن بعض المؤسسين لمدرستي البصرة والكوفة في النحو كانوا من القراء أمثال: أبي عمرو بن العلاء من أوائل مدرسة البصرة، والكسائي من أوائل مدرسة الكوفة، وكلاهما من القراء السبعة، ولقد كان القرآن الكريم وقراءاته مددًا لا ينضب لقواعد البصريين والكوفيين[٢].

الفرق بين القراءات المتواترة وغيرها:

لقد أسهبت كتب القراءات في شرح أقسام القراءة من حيث التواتر وغيره، ولا يتسع المقام لذكر كل هذه الأقسام إلا بالقدر الذي يحدد نوع قراءة ابن عامر من بين هذه الأقسام. وتذكر الكتب أن القراءة الصحيحة هي التي تتوافر لها ثلاثة أركان:

الأول: أن توافق القراءة قواعد العربية بوجه من الوجوه سواء أكان أفصح أم فصيحًا؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها[٣].

الثاني: أن توافق القراءة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا، والمراد بالموافقة الاحتمالية مثل ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[٤] فإن (ملك) رسمت في جميع المصاحف من غير ألف فتقرأ (ملك) وهي توافق الرسم تحقيقًا على قراءتها من غير ألف، ولكن على قراءتها (مالك) بالألف فإنها توافق الرسم احتمالًا، ولا يشترط في القراءات الصحيحة أن تكون موافقة لجميع المصاحف، بل تكفي الموافقة لما ثبت في بعضها.

---

(١) أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، د/ عفيف دمشقية، ص٤٥.

(٢) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف، ص١٩-٢٨.

ويمكن الرجوع إلى نشأة القراءات وتطويرها في «قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية» رسالة دكتوراه، إعداد: عبد الهادي الفضلي، ص٤١-١٥٩. والأدوار التي مرت بها القراءات في «قراءة الكسائي القرآنية»، رسالة دكتوراه للدكتور محمود أبو سمرة، ص٤٠-٤٩.

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ١١).

(٤) الفاتحة: ٣.

ومن ذلك قراءة ابن عامر (قالوا اتخذ الله ولدا)[١] بغير واو قبل قالوا، وهي كذلك في المصحف الشامي، بينما رسمت في باقي المصاحف (وقالوا) بالواو[٢]، كما رسمت (سارعوا)[٣] في مصاحف أهل الشام والمدينة من غير واو، وعليه جاءت قراءة نافع وابن عامر[٤].

كما رسم أيضًا في مصاحف الشام (وبالزبر وبالكتاب)[٥] بزيادة الباء في الكلمتين[٦]، وكما رسم (شركاؤهم)[٧] في مصاحف أهل الشام بالياء[٨]، وسيأتي تفصيل ذلك في حينه إن شاء الله.

الثالث: أن تكون القراءة صحيحة الإسناد، لأن القراءة سنة متبعة يُعتمد فيها على سلامة النقلْ وصحة الرواية.

فإذا اختل ركن من هذه الأركان بأن كانت القراءة غير سائغة في العربية أو غير موافقة للرسم العثماني أو غير صحيحة السند، سميت شاذة أو ضعيفة أو باطلة[٩]. ومن ثم لا تجوز القراءة بها في صلاة وغيرها، أما القراءة الصحيحة التي استوفت أركانها الثلاثة المتقدمة فهي التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها[١٠].

أما القراءة المتواترة فلا يكفي أن يتوافر فيها هذه الأركان الثلاثة فقط بل لا بد

---

(١) البقرة: ١١٦.

(٢) المقنع للداني، ص١٠٩.
(٣) آل عمران: ١٣٣.
(٤) المقنع للداني، ص١٠٩.
(٥) آل عمران: ١٨٤.
(٦) المقنع للداني، ص١٠٩.
(٧) الأنعام: ١٣٧.
(٨) المقنع للداني، ص١١٠.
(٩) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص١٥٢، ١٥٣.
(١٠) النشر في القراءات العشر (١/ ١١).

لها من شيء آخر وهو أن ينقل القراءة جَمْعٌ لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه.

أما إذا صح إسناد القراءة ولكن لا تصل إلى درجة التواتر وساغت في العربية ووافقت الرسم، فهي مشهورة وليست متواترة.

ويقسم الإمام شهاب الدين القسطلاني القراءة إلى ثلاثة أقسام:

قسم اتفق على تواتره وهم السبعة المشهورة، وقسم اختلف فيه وهم الثلاثة بعدها، وقسم اتفق على شذوذه وهم الأربعة الباقية[1].

ومن هذا التقسيم يتضح أن قراءة ابن عامر من القسم الأول وهو المتفق على تواتره.

والجمهور على أن القراءات السبع متواترة، أما القراءات الثلاث المتممة للعشر، فهي من قبيل المشهور عند أكثر الناس ويعدها بعضهم من قبيل المتواترة[2].

(١) لطائف الإشارات (١/ ١٧٠).

(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص١٥٥.

obeikandl.com

حياة ابن عامر

اسمه ونسبه:

هو: «عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبي (بضم الصاد وكسرها)، نسبة إلى يحصب بن دهمان ابن عامر بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، وهو هود عليه السلام»[١].

وواضح من نسبه أنه يتصل بالقبائل القحطانية اليمنية التي نتوقع أنها نزحت قديمًا إلى الشمال، وهي قبائل متأصلة في العروبة، فهو عربي النسب، قال أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد المتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة: «وليس في القراء السبعة من العرب غيره (يقصد ابن عامر) وغير أبي عمرو والباقون هم موال»[٢] ويكنى أبا عمران على الأشهر كما ذكر ابن الجزري[٣].

وقد ذكر الذهبي لابن عامر كنى كثيرة لا داعي لذكرها[٤].

مولده:

يصعب عادة التحديد الدقيق للسنة التي تُولد فيها الشخصية، فضلًا عن تحديد اليوم، ولذا فقد اختلفت الكتب في السنة التي ولد فيها (ابن عامر) فتذكر بعض المراجع أنه ولد في السنة الثامنة للهجرة[٥]، بينما يرجح البعض أنه ولد في السنة

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٤٢٣، ٤٢٤).
(٢) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص٦.
(٣) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٢٤).
(٤) معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٨٢).
(٥) شرح ابن القاصح على الشاطبية (١٣).

الحادية والعشرين للهجرة[١]. ولكن ابن الجزري ينقل عن خالد بن يزيد قوله: سمعت عبد الله بن عامر اليحصبي يقول: ولدت سنة ثمان من الهجرة في البلقا[٢] بضيعة يقال لها: رحاب[٣]، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي سنتان وذلك قبل فتح دمشق، وانقطعت إلى دمشق بعد فتحها ولي تسع سنين[٤].

فإن صح هذا السماع عن ابن عامر، فيكون مولده في السنة الثامنة هو الأرجح، لأنه أدرى بتاريخ مولده، ولا شك أنه سمع ذلك من والديه.

ومما يرجح ذلك أيضًا أن ابن عامر حينما انتقل إلى دمشق كان في سن تتيح له فرصة التلقي والحفظ كما شهد جمع القرآن في عهد عثمان وهو في سن النضج.

نشأته وثقافته:

لم يعن المترجمون لابن عامر بالحديث عن طفولته ونشأته ولا بأسرته، ولكنهم عنوا بالحديث عنه قارئًا ومقرئًا للقرآن الكريم، كما عنوا بالحديث عن مكانته الدينية والعلمية، ويبدو أن ابن عامر قضى طفولته المبكرة في قريته التي ولد بها وهي (رحاب) وفي التاسعة من عمره انتقل إلى دمشق بعد فتحها، وبطبيعة الحال انتقل مع أسرته، إذ لا يعقل أن ينتقل وحده وهو في هذه السن، وحديث ابن عامر عن نفسه: «وانقطعت إلى دمشق بعد فتحها ولي تسع سنين»[٥]. يدل على أنه ذهب إلى دمشق واستقر فيها بعد فتحها بثلاث سنين؛ إذ إنها فُتحت سنة أربع عشرة للهجرة كما ذكر

(١) الوافي في شرح الشاطبية (١٩) تأليف عبد الفتاح القاضي.
(٢) البلقاء: أرض بالشام، وقيل: مدينة. لسان العرب (١/ ٣٤٧).
(٣) الرحاب في الأودية، الواحدة (رحبة) وهي مواضع متواطئة يستنقع فيها الماء، وهي أسرع الأرض نباتًا تكون عند منتهى الوادي وفي وسطه. لسان العرب (٣/ ١٦٠٦).
(٤) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٢٥).
(٥) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٤٢٥).

ابن جرير الطبري[١]، ومعنى هذا أن عملية التعريب اللغوي التي سبق الحديث عنها كانت قد قطعت شوطًا كبيرًا، وكانت دمشق قد اصطبغت بالصبغة الإسلامية والعربية.

وعلى هذا يمكن القول بأن ابن عامر في هذه الفترة المبكرة من حياته بدأ يتعلم القرآن ويحفظه ويتلقاه مشافهة عمن لقيهم من الصحابة، حتى أتم حفظ القرآن كله، ولا شك أنه استفاد من معارف عصره الدينية من تفسير للقرآن الكريم، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ووقف أيضًا على ما كان في هذا العصر من معارف لغوية.

وقد شهدت حياة ابن عامر جمع القرآن الكريم على يد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث نسخه في مصاحف، وأرسل إلى كل مصر من الأمصار الإسلامية نسخة منه، وقد عين «الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه مقرئًا خاصًا لكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف بعد توحيده المصاحف وذلك ليقرئ الناس بمصحفه»[٢]. فقرأ ابن عامر القرآن كله على مقرئ الشام الذي أرسله عثمان، ولم تلبث دمشق أن أصبحت مركزًا للحضارة ومحط أنظار المسلمين في عهد بني أمية، وظهر ذلك كله على شخصية ابن عامر وعقليته وثقافته حتى تسنم مراتب عالية وصار إمامًا من أئمة القراءات.

مكانته وفضله:

يعد ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة: كعثمان بن عفان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، وهو عربي صريح من صميم العرب فكلامه حجة،

(١) تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٤٣٥).

(٢) قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية، رسالة دكتوراه، إعداد: الدكتور عبد الهادي الفضلي، ص٥٥.

وقد قرأ بما تلقى وتلقن، وسمع ورأى. قال ابن الجزري: «ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة»[١].

وقد حظي ابن عامر بمكانة علمية مرموقة في عهد بني أمية، فقد كان إمام أهل الشام في القراءة، وإليه انتهت مشيخة الإقراء فيها، كما تولى إمام الجامع بدمشق، وكان ناظرًا على عمارته حتى فرغ لا يرى فيه بدعة إلا وغيرها، وائتم به الخليفة عمر بن عبد العزيز وهو أعدل خلفاء بني أمية[٢].

في عهد الوليد بن عبد الملك تولى ابن عامر قضاء دمشق[٣]. وهذه المكانة العالية التي وصل إليها ابن عامر قد أهلته لها صفاته الخُلُقية والعقلية التي تمتع بها، فقد نقل ابن الجزري عن أبي علي الأهوازي قوله: «كان عبد الله بن عامر إمامًا عالمًا ثقة فيما أتاه، حافظًا لما رواه، متقنًا لما وعاه، عارفًا فهمًا قيمًا فيما جاء به، صادقًا فيما نقله، من أفاضل المسلمين، وخيار التابعين، وأجلة الراوين، لا يُتهم في دينه، ولا يُشك في يقينه، ولا يُرتاب في أمانته، ولا يُطعن عليه في روايته، صحيح نقله، فصيح قوله، عالٍ قدره، مصيب في أمره، مشهور في علمه، مرجوع إلى فهمه، فلم يتعد فيما ذهب إليه الأثر، ولم يقل قولًا يخالف فيه الخبر»[٤].

وهذه الصفات التي أسندها العلماء لابن عامر ليس مبالغًا فيها، وليست غريبة على ابن عامر، فإنهم لم يصفوه إلا بما اشتهر به وعرف عنه.

مؤلفاته:

كان الناس في صدر الإسلام وفي معظم عهد بني أمية يعتمدون في علمهم على

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٣، ٢٦٤).
(٢) حجة القراءات لأبي زرعة، ص٥٦.
(٣) التيسير في القراءات السبع، ص٥.
(٤) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٢٥).

الذاكرة والرواية، أما التدوين فكان على نطاق محدود، وأظن أن ما يوجد من كتب الآن في شتى العلوم يرجع تاريخه إلى العصر العباسي حيث نشطت حركة التدوين، أما ما دُوِّن قبل ذلك فقد ضاع ولم تُعرف إلا بعض أسمائه، ولم يتحدث الذين ترجموا لابن عامر عن مؤلفاته إلا ما ذكر عنه في بعض المراجع من أنه وضع كتابًا في اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق. وقد تحدثت المراجع عن مجموعة من الكتب التي أُلِّفت في اختلاف المصاحف ومنها كتاب ابن عامر هذا، ولكن هذه الكتب ضاعت ولم يبق إلا أثرها في كتب الذين هم أحدث زمنًا.

يقول د/ لبيب السعيد «والملاحظ أن أغلب هذه الكتب تتضمن صراحة عبارة اختلاف المصاحف، وأبقى هذه الكتب أثرًا الثلاثة التي أَلَّفها ابن الأنباري وابن أشته وابن أبي داود، وأشهر هذه الثلاثة كتاب ابن الأنباري وإن كان هو وكتاب ابن أشته ضائعين الآن، إلا أن الكثير من محتوياتهما في شأن اختلاف المصاحف في الكتب الأحدث تاريخًا مثل: الإتقان، والدر المنشور، وهما للسيوطي»[1].

ومن هنا يتضح أن كتاب ابن عامر هذا من بين ما ضاع من الكتب، وأتوقع أنه تحدث فيه عن أوجه الخلاف بين مصحف الشام وغيره من مصاحف العراق والحجاز.

وفاته:

تُوفي في يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة ومائة للهجرة، رحمه الله تعالى[2].

---

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم للدكتور لبيب السعيد، ص٣٢٠، ٣٢١، قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية، رسالة دكتوراه، عبد الهادي الفضلي، ص٦٥، تاريخ القرآن لإبراهيم الإبياري، ص٩٩، ١٠٠.

(٢) المفردات السبع لأبي عمرو الداني، ص١٧٧٢، غاية النهاية (١/ ٤٢٥) ويمكن الرجوع إلى ترجمة ابن عامر في المراجع الآتية:

مَن أخذ عنهم القراءة:

يعد ابن عامر أقرب الأئمة السبعة في القراءات إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو ينتمي إلى الجيل الذي تلا جيل الصحابة وهو جيل التابعين، ومن ثم يمكن القول بأن ابن عامر أخذ القراءة عن الصحابة الذين ثبت لقاؤهم به في الشام، إذ لم تذكر المراجع أن ابن عامر قام برحلات إلى خارج الشام، وهؤلاء الصحابة أخذوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنه أخذ القراءة عن بعض الذين أخذوا عن الصحابة، وقال أبو بكر بن مجاهد المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة: «وكان عبد الله – يقصد عبد الله بن عامر – فقد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وأخذها المغيرة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه»[1] كما أخذ القراءة عن عدد من الصحابة الذين تذكر المراجع أنهم ذهبوا إلى الشام فأتيح لابن عامر لقاؤه بهم، وأخذه عنهم: ومنهم أبو الدرداء، وفضالة بن عبيد، وعثمان بن عفان، وواثلة بن الأسقع، وقيل: قرأ على معاوية، وقيل: قرأ على معاذ، وإن كان ابن الجزري يُضعِّف أخذه عن معاذ، ولا يصحح أخذه عن معاوية، ويستبعد أخذه عن عثمان مباشرة[2].

وفيما يلي أذكر نبذة عن كل واحد من أشهر الذين أخذ عنهم ابن عامر:

(١) أبو الدرداء:

هو: عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، صحابي من الحكماء والفرسان والقضاة، كان قبل البعثة تاجرًا بالمدينة ثم انقطع للعبادة، ولما ظهر

الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٤٤٩)، تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٠٣)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٩٢)، معرفة القراء للذهبي (١/ ٨٢)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ٢٧٤).

(١) السبعة في القراءات، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ص٨٥.

(٢) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٤٢٤)

الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك، وفي الحديث: «عويمر حكيم أمتي»، «ونعم الفارس عويمر»، وقد ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر من عمر بن الخطاب، فهو أول قاضٍ بها.

قال ابن الجزري: كان من العلماء والحكماء وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظًا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف[١].

وكان عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق، وفقيههم، وقاضيهم[٢]. وقد قطع المحققون بأن ابن عامر عرض القرآن على أبي الدرداء بالشام[٣]، وتُوفي بالشام عام اثنين وثلاثين للهجرة[٤].

(٢) فضالة بن عبيد:

هو «فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن الأوس الأنصاري الأوسي، أسلم قديمًا ولم يشهد بدرًا، وشهد أحد فما بعدها، كما شهد فتح مصر وفتح الشام قبلها، ثم سكن الشام، وولي الغزو كما ولاه معاوية قضاء دمشق بعد أبي الدرداء، وكان فضالة ممن بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة في الحديبية»[٥].

وقد أخذ ابن عامر عن فضالة القراءة حينما استقر في دمشق، وظل فضالة يقرئ القرآن في دمشق حتى تُوفي بها عام ثلاثة وخمسين للهجرة على الأصح[٦].

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٦٦)، والأعلام للزركلي (٥/ ٢١٨).
(٢) طبقات الحفاظ للسيوطي، ص٧.
(٣) غاية النهاية (١/ ٦٠٦).
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٥/ ١٤٦).
(٥) الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٢١٠)، والأعلام للزركلي (٥/ ٣٤٩، ٣٥٠).
(٦) الإصابة (٥/ ٢١٠)، والأعلام للزركلي (٥/ ٣٤٩، ٣٥٠).

(٣) النعمان بن بشير:

وهو «النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي، وكنيته أبو عبد الله، أمير، خطيب، شاعر، من أجلاء الصحابة من أهل المدينة وجهته زوجة عثمان بقميصه إلى معاوية، وولي القضاء بدمشق بعد فضالة بن عبيد، ولد عام اثنين للهجرة ومات قتيلًا عام خمسة وستين للهجرة»[١].

(٤) واثلة بن الأسقع:

وهو «واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر من بني ليث بن عبد مناة»، ويقال: «ابن الأسقع بن عبد الله بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث»، ويكنى أبا قرصافة أو أبا الأسقع أو أبا محمد. أسلم قبل غزوة تبوك وشهدها وهو صحابي كان من أهل الصفة، ثم نزل الشام وشهد فتح دمشق وحمص وغيرهما.

ولد عام اثنين وعشرين للهجرة، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان عام ثلاثة وثمانين أو خمسة وثمانين على خلاف في ذلك، وهو آخر من مات في دمشق من الصحابة[٢].

(٥) المغيرة بن أبي شهاب:

هو «المغيرة بن أبي شهاب عبد الله بن المغيرة بن ربيعة بن عمرو بن مخزوم أبو هاشم المخزومي الشابي». أخذ القراءة عنه عبد الله بن عامر، فكان يقرئ بدمشق في دولة معاوية ولا يكاد يُعرف إلا من قراءة ابن عامر عليه، وقد أخذ المغيرة القراءة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي أخذ عن الرسول صلى الله عليه وسلم،

(١) الإصابة (٦/ ٢٤٠)، والأعلام للزركلي (٥/ ٣٤٩، ٣٥٠).
(٢) الإصابة (٦/ ٣١٠)، والأعلام للزركلي (٩/ ١١٩-١٢٠).

وتُوفي سنة نيف وسبعين للهجرة بالشام[١].

فهؤلاء أشهر الذين قرأ بن عامر عليهم وأخذ عنهم، وقد تبين أن معظمهم كان من الصحابة الذين أخذوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، وليس فيهم من غير الصحابة إلا المغيرة، فهو صاحب عثمان بن عفان أخذ القراءة عنه[٢]، ولا تخفى مكانة عثمان في القراءة، فهو الذي أخذ عن الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنه أشرف على جمع القرآن وتوحيد المصاحف وتوزيعها على الأمصار الإسلامية، وقد أجمع المحققون على أن هؤلاء نزلوا بالشام، واستقروا بدمشق، وأقرءوا فيها القرآن، فلا بد أن يكون ابن عامر أخذ عنهم.

مَن أخذوا عنه القراءة:

وقد أخذ القراءة عن ابن عامر خلق كثير، فقد تولى الإقراء في دمشق بعد المغيرة. وفيما يلي أذكر بعضًا من هؤلاء التلاميذ:

١- إسماعيل بن أبي المهاجر:

هو «إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي أبو عبد الحميد»، كان فقيهًا فاضلًا ورعًا، وهو أحد العشرة التابعين، مخزومي قرشي بالولاء، استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية ليحكم فيهم ويفقههم في الدين، وأسلم على يديه جمهور كبير من البربر، وتُوفي في القيروان سنة مائة واثنتين وثلاثين للهجرة[٣].

---

(١) غاية النهاية لابن الجزري (٢/ ٣٠٥)، تفسير النيسابوري (١/ ١٠)، قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية، رسالة دكتوراه، إعداد: عبد الهادي الفضلي، ص٥٤.

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٢٤).

(٣) الأعلام للزركلي (١/ ٦٣٢).

٢- خالد بن يزيد:

هو «خالد بن يزيد بن صبيح أبو هاشم المري، قاضي البلقاء، ثقة، روى القراءة عن عبد الله بن عامر، تُوفي سنة مائة وست وستين للهجرة»[١].

٣- سعيد بن عبد العزيز:

هو «سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي، فقيه دمشق في عصره، كان حافظًا حجة. قال الإمام أحمد بن حنبل: ليس بالشام أصح منه حديثًا، ولد سنة تسعين للهجرة، وتُوفي سنة مائة وسبع وستين للهجرة»[٢].

٤- يحيى بن الحارث:

هو «يحيى بن الحارث بن عمرو بن يحيى بن سليمان بن الحارث أبو عمرو، ويقال: أبو عمر، ويقال: أبو عليم الغساني الزماري (نسبة إلى زمار) وهي قرية من اليمن على مرحلتين من صنعاء -نسب أبوه إليها- وهو إمام الجامع بدمشق، وشيخ القراءة بها بعد ابن عامر، ويعد من التابعين، لقي واثلة بن الأسقع، وروى عنه، وقرأ عليه، كما أخذ القراءة عن ابن عامر وهو الذي خلفه في القيام بها في الشام، كما قرأ يحيى بن الحارث على نافع بن نعيم»[٣].

فهؤلاء بعض قليل ممن أخذوا عن ابن عامر، وقرءوا عليه، لأنه كان مقرئ أهل الشام، فتتلمذ عليه الكثيرون بها.

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٢٦٩).
(٢) المصدر السابق ص٣٠٧، طبقات الحفاظ للسيوطي ص٩٣، الأعلام للزركلي (٣/ ١٥٠).
(٣) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٦٧).

راوياه:

وكل قارئ من القراء تهذبت قراءته واكتملت على يد اثنين ممن نقلوا عنه القراءة، وراويا ابن عامر اللذان استقرت عندهما قراءته واشتهرا عنه هما: هشام وابن ذكوان، ولكن لم يرويا عنه القراءة مباشرة، بل بواسطة سند صحيح. فأما هشام فقد أخذ القراءة عن عراك بن خالد المتوفى قبيل المائتين للهجرة، وعراك بن خالد أخذ القراءة عن يحيى بن الحارث الزماري الذي هو من تلاميذ ابن عامر وخلفه في القيام بالقراءة. وأما ابن ذكوان فقد أخذ القراءة عن أيوب بن تميم المتوفى سنة تسع عشرة ومائتين للهجرة، وأيوب بن تميم أخذ القراءة عن يحيى بن الحارث الزماري عن ابن عامر[١].

وفيما يلي أذكر كلمة موجزة عن كل من هشام وابن ذكوان.

١- هشام:

هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي الدمشقي، وكنيته أبو الوليد، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة.

وهو إمام أهل دمشق وخطيبهم، ومحدثهم ومقرؤهم ومفتيهم، أخذ القراءة عرضًا عن: أيوب بن تميم بن سليمان بن أيوب المكنى أبا سليمان التميمي الدمشقي وهو ضابط مشهور. ولد في أول سنة عشرين ومائة، وتُوفي سنة تسع عشرة ومائتين في أيام المعتصم على الأصح[٢].

كما أخذ القراءة أيضًا عن عراك بن خالد بن يزيد بن صاع الدمشقي المتوفى قبيل

(١) التيسير في القراءات السبع، ص١٣، ١٤.
(٢) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٧٢).

المائتين للهجرة[١].

وأشهر الذين أخذوا القراءة عن هشام:

- أبو عبيدة القاسم بن سلام البغدادي القاضي، وهو أحد الأعلام، قال ابن راهويه: أبو عبيدة أوسعنا علمًا، وأكثرنا أدبًا، وأكثرنا جمعًا، إنا نحتاج إلى أبي عبيدة، وأبو عبيدة لا يحتاج إلينا. ولي قضاء طرطوس وتُوفي بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين[٢].

- أحمد بن يزيد الحلواني، وكنيته أبو الحسن، إمام كبير عارف صدوق ضابط خصوصا في (روايتي) قالون وهشام. تُوفي سنة نيف وخمسين ومائتين على الأرجح[٣].

ولما تُوفي أيوب بن تميم رجعت القراءة في الشام إلى (ابن ذكوان وهشام) وكان هشام مشهورًا بالعقل والفصاحة والعلم والرواية والدراية. رُزِقَ كبر السن وصحة العقل والرأي، فارتحل الناس إليه في القراءات والحديث. تُوفي هشام سنة خمس وأربعين ومائتين للهجرة، وقيل: سنة أربع وأربعين ومائتين[٤].

٢- ابن ذكوان:

هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان الفِهْرِي الدمشقي القرشي، وكنيته أبو عمرو، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة للهجرة في يوم عاشوراء.

وهو الإمام الأستاذ المشهور الراوي الثقة، شيخ الإقراء بالشام، وإمام جامع

---

(١) المرجع السابق (١/ ٥١١).
(٢) طبقات الحفاظ للسيوطي، ص١٧٩، ١٨٠.
(٣) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٤٩، ١٥٠).
(٤) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٥٤)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (١٩٧).

دمشق. أخذ القراءة عن أيوب بن تميم، وخلفه في القيام عليها بدمشق، وقرأ على الكسائي، المتوفى سنة تسع وثمانين ومائة لما قدم الشام.

كما روى الحروف سماعًا عن إسحاق بن المسيب المتوفى سنة ست ومائتين للهجرة.

وقد روى القراءة عن ابن ذكوان جماعة منهم (ابنه أحمد، وأحمد بن أنس، وأحمد بن المعلى).

ألف كتابًا في أقسام القرآن وجوابها، وما يجب على قارئ القرآن عند حركة لسانه.

قال أبو زرعة الدمشقي عنه، وهو من تلاميذه: لم يكن بالعراق ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ منه.

تُوفي ابن ذكوان في شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين على الصواب[1].

فهذان هما الراويان اللذان اشتهرا بالرواية عن ابن عامر، وعلى يديهما استقرت قراءته ومن خلالهما عُرفت، وقد ذكرت هشامًا قبل ابن ذكوان رغم وفاة ابن ذكوان قبله؛ لأن هشامًا مقدم على ابن ذكوان من حيث رتبته في القراءة، فإذا اختلفت روايتا هشام وابن ذكوان عن ابن عامر في موضع قُدِّمت رواية هشام في القراءة، وهذا ما تعارف عليه القراء.

(١) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٠٤).

طرق ابن عامر

وإذا كانت قراءة ابن عامر قد عُرفت من خلال راوييه هِشام وابن ذكوان، فإن كلًّا من روايتي هشام وابن ذكوان قد عُرفت من خلال طريقين، وكل من أخذ عن الراوي يسمى طريقًا.

فأما رواية هشام فمن طريقين:

الأول: طريق أحمد بن يزيد الحلواني وقد سبق ذكره عند الحديث عمن أخذوا عن هشام.

الثاني: طريق أبي بكر محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن سليمان، الدجواني الرملي، الضرير، وكان إمامًا جليلًا، ضابطًا متقنًا، ثقة حافظًا، رحل إلى العراق، وأخذ عن ابن مجاهد، وأخذ عنه ابن مجاهد أيضًا، وتوفي في رجب سنة أربع وعشرين ومائتين[1].

وأما رواية ابن ذكوان فمن طريقين كذلك:

الأول: طريق أبي عبد الله بن هارون بن موسى بن شريك الثعلب، المعروف بالأخفش الدمشقي، وكان شيخ القراء بها، ضابطًا، متقنًا، إليه رجعت الإمامة في قراءة ابن ذكوان، صنف كتبًا كثيرة في القراءات والعربية، وتُوفس سنة اثنتين وتسعين ومائتين بدمشق.

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ١٣٣).

الثاني: طريق أبي العباس محمد بن موسى بن عبد الرحمن بن أبي عمار الصوري الدمشقي، وكان مشهورًا بالضبط، معروفًا بالإتقان، وتُوفي سنة سبع وثلاثمائة بدمشق[١].

توثيق قراءة ابن عامر:

يتبين مما سبق من الكلام عن الفرق بين القراءة المتواترة وغيرها من القراءات الشاذة أو الضعيفة أن قراءة ابن عامر متواترة؛ لأنها من القراءات السبع المجمع على تواترها وتلقيها بالقبول، ولأن مقاييس القراءة الصحيحة من موافقة للعربية والرسم العثماني وصحة السند تنطبق عليها انطباقًا تامًّا.

أما من حيث موافقتها للعربية، فإن قواعد اللغة من أصوات وأبنية وتراكيب لا تخالفها أو تتعارض معها. ولا يلتفت إلى بعض اللغويين والنحاة الذين أنكروا أو ضعَّفوا بعض الظواهر النحوية لقراءة ابن عامر، لأن القرآن كما يقول النيسابوري: «حجة على غيره وليس غيره حجة عليه»[٢].

فكان يجب على النحويين قبل أن يضعوا قواعدهم أن يحتكموا إلى القرآن وقراءاته، لأن القراءة ليست من اجتهاد القارئ، ولكنه نقلها بسند عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأئمة القراء كما يقرر أبو عمرو الداني: «لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل»[٣].

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ١٣٦)، والإشارات الجلية، ص١١.
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨/ ٣١) بهامش تفسير الطبري.
(٣) النشر في القراءات العشر (١/ ١٠، ١١).

قال ابن الجزري: «ولم يبلغنا عن أحد من السلف رضي الله عنهم على اختلاف مذاهبهم، وتباين لغاتهم، وشدة ورعهم أنه أنكر على ابن عامر شيئًا من قراءته، ولا طعن فيها، ولا أشار إليها بضعف، ولقد كان الناس بدمشق وسائر بلاد الشام حتى الجزيرة الفراتية وأعمالها لا يأخذون إلا بقراءة ابن عامر، وما زال الأمر كذلك إلى حدود الخمسمائة». ثم يقول ابن الجزري: «وأول من نعلمه أنكر هذه القراءة وغيرها من القراءات الصحيحة وركب هذا المحذور بان جرير الطبري بعد الثلاثمائة، وقد عُدَّ ذلك من سقطات ابن جرير حتى قال السخاوي: قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي: إياك وطعن ابن جرير على ابن عامر»[1].

وقد تبعه الزمخشري وغيره في الطعن على بعض قراءات ابن عامر، وسوف يأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

أما موافقة قراءة ابن عامر للرسم العثماني، فإن قراءته لا تختلف في شيء عن الرسم العثماني لمصحف الشام. وقد سبق الكلام على هذا عند الكلام على الفَرْقِ بين القراءة المتواترة وغيرها.

ويرجح المتصلون بالتراث العربي أن هذا المصحف هو الذي كان في دار الكتب بمدينة (لينتجراد) ثم انتقل منها إلى إنجلترا ولا يزال بها حتى اليوم[2].

وأما من حيث صحة السن في قراءة ابن عامر، فإن ابن عامر أعلى القراء سندًا وأقربهم إلى عهد نزول الوحي، فقد أخذ عن كبار الصحابة، مثل: (أبي الدرداء)، وأبو الدرداء أخذ عن الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، كما أخذ ابن عامر عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان في القراءة، والذي أرسله عثمان إلى أهل الشام ليقرئهم بما في مصحفهم، وعثمان بن عفان تلقى عن رسول الله

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٤).
(٢) تاريخ القرآن لإبراهيم الإبياري، ص٩٨.

صلى الله عليه وسلم[١].

ويعد ابن عامر من جيل التابعين الذين تلقوا عن الصحابة «ويجمع الناس وأهل العلم من الصدر الأول إلى آخر وقت على قبولها وتلاوتها والصلاة بها وتلقينها مع شدة مؤاخذتهم في اليسير، وما زال أهل الشام قاطبة على قراءة ابن عامر تلاوة وصلاة وتلقينًا إلى قريب الخمسمائة»[٢].

ولم يزل المشتغلون بعلم القراءات حريصين على معرفة من يتلقون عنهم القراءة أو الرواية ويسجلون ذلك في كتبهم، يقول الإمام شهاب الدين القسطلاني الذي عاش فيما بين القرنين التاسع والعاشر الهجريين: «وأعلى ما وقع لنا من ذلك أن بيننا وبين النبي صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلًا وذلك في قراءة ابن عامر، من رواية ابن ذكوان». ثم ذكر سلسلة من الرجال الموثوق بهم تتصل في نقل القراءة برسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

وبعد؛ فقد حاولت في هذا التمهيد أن أذكر ما يُلقي بعض الأضواء على قراءة ابن عامر، ولم أتوسع فيما ذكرته من تاريخ القراءات والقراء، فقد سبقني إلى هذا الكثيرون.

وفيما يلي أدخل إلى قراءة ابن عامر لتحليلها من حيث ما اشتملت عليه من ظواهر صوتية وصرفية ونحوية.

---

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٤١).
(٢) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٤٢٤).
(٣) لطائف الإشارات (١/ ١٧٤، ١٧٥).